مساهمة أبو القاسم سعد الله في بعث التراث المخطوط

أ.مريم خالدي
جامعة سيدي بلعباس

الملخص باللغة العربية

تعد المخطوطات الوعاء الحضاري الذي يكتنز جزء مهما من فكر وإبداع الشعوب والأمم واحد أهم الروافد التي تتيح لدارسين الاطلاع على حركة التأليف في مختلف الأقطار، وبابا يلج منه الباحثون لتعرف على الآثار الفكرية ودراستها، والسبيل إلى سبر ثنايا تلك الكتب بتحقيق هذه النصوص ونشرها ، وقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن المخطوطات كما ظهرت اهتمامات جمة ومبادرات طيبة عديدة تعنى بالمخطوطات كمادة تراثية وموروث حضاري .

Résumé en français:

Les manuscrits sont considérés comme navire civilisée qui Ictnz partie importante de la pensée et de la créativité des peuples et des nations, et l'un des affluents les plus importants qui permet l'accès à un mouvement de création dans divers pays pour les étudiants Porte pénètre par les chercheurs d'identifier les implications intellectuelles et d'étude, la bibliothèque algérienne contient une énorme quantité de manuscrits, nécessité de réviser et étudier pour être mis à disposition à la portée des chercheurs et des universitaires, et hors de ce émergé Abu al-Qasim Saad Allah efforts de la marque dans la réalisation de manuscrits et fouillé, où des efforts considérables pour faire à cela et prendre la responsabilité pour les institutions et équipes de recherche seul dans la lumière de la réticence de l'attention des chercheurs dans ce domaine.

Où il a travaillé dans le silence de l'Algérie et de la bibliothèque arabe fournit des études universitaires importantes fondées sur les principes et les méthodes de recherche et d'étude systématique dans les actes de la fin immortel plus grand témoignage de la lutte pour le bien de la recherche scientifique en Algérie scientifiques et l'élever au niveau de service global.

مقدمة:

تعتبر المخطوطات الوعاء الحضاري الذي يكتنز جزاء مهما من فكر وإبداع الشعوب والأمم واحد أهم الروافد التي تتيح لدارسين الاطلاع على حركة التأليف في مختلف الأقطار ، وبابا يلج منه الباحثون لتعرف على الآثار الفكرية ودراستها، وتحتوي المكتبة الجزائرية على كم هائل من المخطوطات، بحاجة إلى تنقيح ودراسة لإتاحتها في متناول الباحثين والدارسين، وانطلاقا من هذا برزت جهود العلامة أبو القاسم سعد الله في مجال تحقيق المخطوطات والبحث فيها، حيث بذل مجهودا كبيرا في ذلك وتحمل مسؤولية مؤسسات وفرق بحث لوحده في ظل عزوف الباحثين بالاهتمام بهذا الحقل، حيث كان يشتغل في صمت ليقدم للمكتبة الجزائرية والعربية دراسات أكاديمية مهمة تقوم على أسس علمية وطرق منهجية في البحث والدراسة فأعمال المرحوم الخالدة اكبر دليل على نضاله في سبيل خدمة البحث العلمي في الجزائر والارتقاء به إلى مستوى العالمية.

فمن خلال هذه الورقة العلمية سنحاول إبراز جهود ومساهمة العلامة شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله في إحياء التراث المخطوط، لما كان له من فضل في نفض الغبار عن عديد المخطوطات القيمة وتقديمها للباحثين، فهو يبدي كثير من الاهتمام بالمخطوطات ولاسيما تلك التي تتصل بحياة الجزائر والمغرب العربي، ويشهد سجله الحافل على عدد من الأعمال التي قام بتحقيقها في إطار مشروعه الحضاري والثقافي الذي اشتغل عليه. فما هي أهم جهود الدكتور أبو القاسم سعد الله في بعث التراث المخطوط ؟ وكيف نظر أبو القاسم إلى التراث المخطوط ؟ وما هو منهجه في تحقيق النصوص التراثية؟

لإجابة على هذه التساؤلات وغيرها سنحاول تقسيم البحث إلى عدة نقاط مهمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1_ تحديد المصطلحات

2- نبذة تعريفية بالأستاذ المحقق "أبو القاسم سعد الله"

3- أسباب اهتمام أبي القاسم سعد الله بالتراث المخطوط

4- واقع التراث المخطوط في نظر أبي القاسم سعد الله

5- منهج أبو القاسم سعد الله في تحقيق التراث المخطوط

6- الدراسات المحققة (وصف عام).

أولا: تحديد المصطلحات:

1- تعريف التحقيق:

لغة : التحقيق من الحق هو الأمر الثابت والواجب وحققت الأمر أو أحققته إذا تحققته وصرت منه على يقين[1].

وأما المدلول الاصطلاحي: فقد وردت فيه عدة مفاهيم منها:

التحقيق: إخراج نص معين في شكل اقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها عليه مؤلفه، اعتمادا على المقارنة بين كل النسخ التي بقيت من الكتاب[2].

التحقيق: بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها شرائط معينة[3].

وكلمة التحقيق عادة ما تذكر مقرونة أما بلفظ النصوص أو المخطوطات أو التراث، فيقال تحقيق النصوص أو تحقيق المخطوطات أو تحقيق التراث، ومن ثم فتحقيق المخطوط يعنى أن يظهر المحقق متنه بصدق وأمانة كما وضعه مؤلفه كما وكيفا بقدر الإمكان، وليس معنى التحقيق المخطوط الارتقاء بأسلوبه، وتلخيص عباراته وفقراته بأن يختار المحقق أسلوبا غير أسلوب المؤلف مثلا أو يضع كلمة مكان أخرى بدعوى أنها ابلغ أو أجمل وليس من حقه أيضا أن يوجز في عبارة المؤلف أو أي شئ يشبه هذا، لان تحقيق المتن أو النص أمانة في الأداء وتقتضيها أمانة التاريخ وأمانة العلم .

2- تعريف التراث:

- لغة : كلمة التراث كلمة مشتقة من وَرِثَ، يَرِثُ، إِرْثًا، إن انتقل إليه ما كان لأبويه من قبله فصار ميراث له، يقول ابن منظور" يقال ورثت فلانا مالا وأورثه ورثا إذا مات مورثك فصار ميراثك له". وفي الآية الكريمة من سورة النمل": وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ..[4] ". وفي آية أخرى من سورة الأحزاب:" وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا..[5] ".

وقال الله تعالى إخباراً عن زكريا ودعائه إياه: " فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا "[6] أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي.

- اصطلاحا: يطلق لفظ التراث على مجموع نتاج الحضارات السابقة التي يتم وراثتها من السلف إلى الخلف، سواء أكان مالاً، أو حضارة أو علماً، أو أي شيء يدل على تلك الأمم السابقة.و التراث في مجال تحقيق النصوص هو كل ما وصل إلينا مكتوباً في أي علم من العلوم أو فن من الفنون، أو هو كل ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة[7].

3- تعريف المخطوط:

- لغة: مشتقة من الفعل خط يخط أي كتب أو صور اللفظ بحروف هجائية[8].

- اصطلاحا: هو النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده، سواء كان كتابا أو وثيقة أو رسالة وسواء كان باللغة العربية أو غيرها. غير أن العرب الأوائل غير أن العرب الأوائل لم يتداولوا هذا المصطلح فكانوا يطلقون على المخطوطات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمهات الكتب، المؤلفات، كتب الأصول. ويبدو أن مصطلح (المخطوط) ظهر بعد عصر الطباعة ليفرق بين المطبوع والمخطوط .[9]

ثانيا: نبذه تعريفية بالأستاذ المحقق " أبو القاسم سعد الله " :

الأستاذ أبو القاسم سعد الله من مواليد سنة 1930 بضواحي قمار بولاية الوادي، وهو باحث ومؤرخ، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين، وهو من رجالات الفكر البارزين في الجزائر. له سجل علمي حافل بالإنجازات: من وظائف، ومؤلفات، وترجمات. درس بجامع الزيتونة بتونس من 1947 حتى 1954 واحتل المرتبة الثانية في دفعته. كما درس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في القاهرة، وحاز على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962، ثم انتقل إلى أمريكا سنة 1962، حيث درس في جامعة منيسوتا التي حصل منها على شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ والعلوم السياسية باللغة الإنجليزية سنة 1965. إضافة إلى اللغة العربية، يتقن الراحل اللغة الفرنسية والإنجليزية كما درس الفارسية والألمانية.

ومن أشهر مؤلفاته:

1- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،5 أجزاء، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

2- أفكار جامحة، الجزائر، دار عالم المعرفة ، 2011.

3- بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار عالم المعرفة ، بيروت، 2011.

4- تاريخ الجزائر الثقافي، 9 مجلدات، دار عالم المعرفة ، بيروت، 2011

5- تجارب في الأدب والرحلة، دار عالم المعرفة ، الجزائر، 2011.

6- الحركة الوطنية الجزائرية، 4 أجزاء، دار عالم المعرفة ، بيروت، 2011.

7- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار عالم المعرفة بيروت، 2011.

8- الزمن الأخضر، ديوان سعد الله، دار عالم المعرفة ،الجزائر، 2011.

9- سعفة خضراء، المؤسسة الوطنية، دار عالم المعرفة ،الجزائر، 2011.

10- في الجدل الثقافي، دار المعارف، دار عالم المعرفة ،تونس، 2011.

11- قضايا شائكة، دار عالم المعرفة ، الجزائر، 2011.

12- هموم حضارية، دار عالم المعرفة ، الجزائر، 2011.

- الكتب المحققة :

13-أحمد بن أبي عصيدة البجائي، رسالة الغريب إلى الحبيب، دار عالم المعرفة،الجزائر، 2011.

14- أحمد بن عمار، مختارات من الشعر العربي، دار عالم المعرفة ، الجزائر، ،2011.

15- الأمير مصطفى بن إبراهيم باشا، حكاية العشاق في الحب والاشتياق، دار عالم المعرفة ،الجزائر، 2011.

16- اعيان من المشارقة والمغاربة تاريخ عبد الحميد بك، دار عالم المعرفة ، الجزائر، 2011

17- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، دار عالم المعرفة ،الجزائر، 2011

18- محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، دار عالم المعرفة ، الجزائر، 2011.

19- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، دار عالم المعرفة ، الجزائر، 2011.

- الكتب المترجمة:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

20- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، دار عالم المعرفة، الجزائر ، 2011.

21- جون بول وولف، الجزائر وأوروبا، ، دار عالم المعرفة ،الجزائر، .2011

22- شعوب وقوميات، الجزائر، دار عالم المعرفة،الجزائر، 2011[10].

الوظائف العلمية والإدارية:

أستاذ مشارك في التاريخ، جامعة الجزائر 1967 – 1971م.

أستاذ التاريخ، جامعة الجزائر منذ 1971م.

وكيل كلية الآداب، جامعة الجزائر، 1968 – 1972م.

رئيس قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الجزائر 1969 – 1971م.

أستاذ مساعد في التاريخ، جامعة ويسكنس، أوكلير (أمريكا) 1960 – 1976م.و

أستاذ التاريخ، جامعة آل البيت الأردن، 1996 – 2002م.

أستاذ زائر بعدة جامعات منها :

جامعة عين شمس (مصر) 1976م.

جامعة دمشق (سورية) 1977م.

معهد البحوث والدراسات العربية (مصر) 1970، 1975، 1989م.

جامعة الملك عبد العزيز (السعودية) قسم التاريخ، 1985م.

جامعة ميشيغان (أمريكا) 1987 – 1988م.

جامعة منيسوتا، أمريكا قسم التاريخ، 1994 – 1996، 2001م.

توفي، السبت الموافق لـــ 2013/12/14، بمستشفى عين النعجة العسكري بالعاصمة عن 83 سنة بعد معاناة من المرض[11].

ثالثا: أسباب اهتمام أبي القاسم سعد الله بتحقيق التراث المخطوط :

إن اهتمام أبو القاسم سعد الله بالتراث المخطوط ولاسيما تلك التي تتصل بحياة الجزائر والمغرب ،وركز خاصة على القرنين 17و18، كونهما أكثر العصور تعرضا لسهام الفرنسيين، وحسب مؤرخي المدرسة الاستعمارية فان تاريخ الجزائر عبارة عن حلقة متتابعة من الاستعمار وسلسلة متصلة من السيطرة الأجنبية، لذا فان أكثر المؤلفات التي حققها تعلقت بالعهد العثماني لدحض ادعاءات المدرسة التاريخية الاستعمارية التي ما فتئت تشن حملات من التشويه والتزييف لتاريخ الجزائر في غياب مدرسة وطنية موازية.

ويضيف سعد الله " لو اقتصر احتكار الفرنسيين لتاريخ الجزائر على الفترة الاستعمارية لكان احتكارهم مبرر،مؤقتا على الأقل، ولكن إذا أصبح احتكارهم عاما لكل تاريخ الجزائر ،من قديمه إلى معاصره ،فذلك أمر يثير الدهشة وينذر بالخطر.فقد أصبح اسم (قزال) علما على تاريخ الجزائر القديم (بل المغرب العربي كله)،وأصبح (غوتييه) علما على تاريخها الوسيط،واسم (غرامون) علما على تاريخها العثماني،واسم (أجرون) علما على تاريخها المعاصر ،بل أن اسم (جوليان) أصبح ملتصقا بتاريخ الجزائر في جميع العصور لأنه كتب عن الجزائر(وشمال إفريقيا) في مختلف العصور.ولكن هل هذا الاحتكار (أو الاحتواء بالمعنى السياسي) ظاهرة طبيعة ؟ " ألا يبرهن على استمرار المدرسة الاستعمارية في السيطرة على الدراسات التاريخية عندنا ؟ وما معنى الاستقلال السياسي إذا كان تاريخنا ما يزال مستعمر"؟ . ويضيف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليس غريبا أن يلجأ المؤرخون غير الفرنسيين إلى الاعتماد على المراجع الفرنسية عن الجزائر لأنهم يجدون الساحة فارغة من المراجع الجزائرية[12].

ومن العوامل التي أيضا جعلت سعد الله يخوض في مسألة التراث هو إنتاج عمل يكشف عن مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية والإنسانية عبر العصور، وذالك ببعث رصيدها الثقافي، رغم كل المحاولات الاستعمارية لعرقلتها، وسعد الله يفضل تاريخ الفكر والثقافة لان في نظره أن الثقافة في جزائر الاستقلال لا تتجاوز في معالجتها للتراث المعرفي الجزائري عرض مواقف التحدي ومظاهر المقاومة و لم تهتم في إسهامها إلا بالموضوعات الوطنية السياسية والأعمال الثورية ... مما جعل الاهتمام بالمواضيع الثقافية، والتعريف برجالاتها في أخر الانشغالات إن لم يكن من قبيل الترف الفكري. فخلود الجزائر يضيف يرتبط أساسا بإسهامها الثقافي ومشاركتها في المعرفة الإنسانية في نطاق الأسرة العربية الإسلامية[13]. فالثقافة إذن عنصر لابد في أي حضارة وكذلك لمعرفة مدى تطور المجتمعات، لابد من الرجوع للميدان الثقافي بالدرجة الأولى[14] وكان هدفه أيضا من اقتحام غمار التحقيق وبعث تراث الأمة واخذ البادرة بالرغم من صعوبة المهمة، هو تحفيز المبادرات الإبداعية لدى أبناء الجيل للاهتمام بالمخطوط المحلي، وهي دعوة أيضا إلى المؤسسات البحثية والمخابر العلمية لإحداث مؤسسات علمية تهتم بهذه الثروة والتي تكوّن مرجعا لا مناص منه لدراسة تاريخ الجزائر السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري، وبالتالي تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية حديثة تهتم بالمخطوطات والتراث الوطني، لفك الارتباط بالموروث الاستعماري[15].

رابعا: التراث المخطوط في نظر أبو القاسم سعد الله:

وبشان مسالة التراث فان سعد الله يعبر عنه بمفهوم واسع "هو نحن في الماضي، هو أسلافنا وأفكارنا وأنسابنا وعقائدنا وإنتاجنا"[16]، والتراث نوعان في نظره ، فهناك التراث الشامخ الذي يعبر عن أصالة الأمة وإسهامها الحضاري وهناك التراث الذي يعني الأساطير والخرافات وأشكالا متعددة من مظاهر التخلف العقلي[17]، فهو يرى أن التراث ماهو إلا كمية محايدة في حد ذاته لهذا إما أن يكون عاملا ايجابيا أو سلبيا[18] ، فالتراث الذي يقصده إذن هو الايجابي الذي يخدم الوحدة الوطنية للشعب الجزائري ويخدم من تم وحدة الحضارة الإسلامية.

ويجب أيضا عدم التركيز على التراث بشكل مبالغ فيه ولكن أيضا لا يعني ذالك إهماله بل يجب تحويله إلى دافع إبداعي[19]، فالشعوب على حد قوله كلها تعيش على التراث ، لكن الفرق أن هناك شعوبا تتشبث بالتراث لذاته وهي الشعوب المتخلفة وأما الشعوب المتقدمة فتعتز أيضا بتراثها، ولكنها تتجاوزه إلى صنع المستقبل الذي يصبح طبقا لسنن الطبيعة تراثا في حد ذاته[20].

وقد كان للعرب والمسلمين دور بارز من خلا تراثهم الشامخ في الإسهام في الحضارة الإنسانية، ولا ينكر دورهم هذا إلا جاحد وناكر للحقائق التاريخية فبالرغم أن العرب هم الذين حافظوا وأبدعوا في التراث الإغريقي وقدموه في طبعة منقحة ومزيدة إلى العالم الحديث إلا أن هناك مدرسة ظهرت بعد تغلب أوربا طبعا تدعى أن العرب كانوا وسطاء فقط لا مبدعين، فرأيه الاستفادة الايجابية من التراث الذي يعبر عن أصالة الأمة وإسهامها الحضاري وتفعيله في مسار حركة نهضوية جديدة تعنى الماضي وتحتوي الحاضر وتستشرف المستقبل[21] .

وحضور التراث عند أبو القاسم ليس في صورته التقليدية، تلك النظرة التي تقوم على الأخذ برؤية الأقدمين لمناحي الحياة، فليس كل ما تركه أجدادنا صالح يجب الأخذ والاقتداء به فما كان صالح في زمانهم بطبيعة عصرهم لا يصلح لكل الأزمان لان لكل عصر معطياته ومستجداته "إن الكثير مما تركه الأجداد ما يزال صالحا للأخذ منه أو الاقتداء به أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاعتبار بما فيه من أخطاء أو انحرافات، وهذا هو معنى الاستفادة من التراث في البناء الحضاري المستمر". فالتراث- وان كان يعني القدم- فانه لا يستمد قيمته الجمالية من مجرد القدم،وإنما قدرته على تحريك قيم الحاضر وتغذيتها بالطاقة الضرورية المناسبة لدفعها مجددا إلى ترسيخ قدم الإنسان في التقدم الحضاري[22].

ويعتقد سعد الله أن الاهتمام بالتراث المبالغ فيه على حساب الاهتمام بالواقع والمستقبل من شأنه أن يعرقل الإرادة العربية والإبداع " وبدل أن يكون التراث دافعا بنا على التطلع والاستشراق والإبداع أصبحنا نقتات تراثا ونفكر بتفكير الماضي أن الإسراف في طرح قضية التراث تؤدي لا محالة إلى عرقلة الإرادة العربية والإبداع "[23].

ويؤكد سعد الله في كل عمل تحقيقي ونقد للنصوص التراثية أن عملية إحياء التراث وبعثه يجب أن تكون محل تخطيط ودراسة، ولا ينبغي أن تعالج على المستوى الفردي فحسب بل على مستوى الهيئات والفرق البحثية، ولا توكل أيضا إلى المؤسسات التجارية التي تسعى وراء الربح المادي أو الحصول على الشهادات على حساب البحث العلمي والإبداع الفكري، ومثل هذه المؤسسات كثيرة في البلاد العربية[24].

رابعا: منهج أبو القاسم سعد الله في تحقيق المخطوطات :

نعتقد أن العمل الرائد الذي قام به الدكتور سعد الله في مجال تحقيق النصوص التراثية ساهم في إبراز الدور الحضاري والثقافي للمجتمع الجزائري ،وقد مكن هذا الانجاز العلمي على قلته مقارنة بضخامة التراث المخطوط وأهميته من إنقاذ بعض المخطوطات التي كاد يطويها النسيان كما أن الكشف عنها أتاح تفعيل وظيفتها الفكرية والعلمية مما أعطى صورة حية وصادقة عن إسهام العلماء الجزائريين في ترقية وتطوير الفكر الإنساني، والحديث عن منهج علمي في التحقيق لدى الدكتور أبو القاسم سعد الله لا يتأتى إلا في حالة الاطلاع الكامل على المادة المحققة كلها، لكن يمكنا أن نستشف منها الإجراءات المطبقة في تحقيقها من خلال ما توفر الاطلاع عليه من منجزات في هذا الحقل والذي من شانه أن يعطي فكرة واضحة عن أهم العناصر الأساسية الثابتة التي يتم التركيز عليها في كل عمل تحقيقي:

يقوم تحقيق المخطوط ونقده عند سعد الله على ثلاثة أقسام ثابتة هي:

القسم الأول :التقديم: يعرض فيه الباحث العناصر الآتية:

1- صاحب المخطوط وعصره.

2- وصف المخطوط.

3- طريقة التحقيق.

4- مصادر والمراجع البحث.

5- قيمة الموضوع.

القسم الثاني : يعرض فيه متن المخطوط معززا بالتعليقات والتهميش وبيان ما غمض من عبارات مصححا في بعض الأحيان ما يراه قابلا للإصلاح دون مس المادة الأصلية أو تغييرها أو تحويلها من مواضعها.

القسم الثالث :وفيه يثبت المصادر والفهارس، حيث يخصص جزءا للأعلام، وآخر للأماكن، وقد يعرض ملحقا للجداول والرسوم، كما يثبت المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق، ثم يختم الكل بفهرس لموضوعات المخطوط[25].

وأول ما يعنى به الباحث في تحقيق المخطوط أن يحصل على جميع نسخه المختلفة بقدر الإمكان، وبعد حصوله على نسخة يجب عليه أن يحاول التعرف إذا كان يوجد من بين النسخ نسخة بخط المؤلف أو إملائه على احد مريديه وتكون هذه النسخة حينئذ هي أصل النسخ وأساس التحقيق، فإذا لم توجد نسخة بخط المؤلف أو إملائه يبحث عن أقدم النسخ وأقربها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمؤلف زمانا ومكانا لتكون أصلا لتحقيق، وتجري عملية تصحيح واستكمال المخطوط الرئيسي بمعاونة النسخ الأخرى فالكلمة لناقصة أو المبهمة والصفحات غير الواضحة تستكمل أولا بمساعدة النسخ المتعددة[26].

والتحقيق مهمة شاقة قد تأخذ من المحقق دهرا، حيث نجد الراحل أبو سعد الله يعبر عن جسامة العملية و صعوبتها عند انتهائه من تحقيق مخطوط رحلة ابن حمادوش قائلا: " لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة قبل الإقدام عليه لما صدقته أو أقدمت عليه أصلا "[27].

و المحقق مطالب حتى يتصدى لهذا العمل الشاق أن يكون ملما بفقه اللغة ذو ثقافة واسعة بعلم تطور الخط العربي وألوانه، مع إلمامه بدلالات الألفاظ فلا يمكن فهم النص في سياقه إلا إذا تم فهم الألفاظ حسب عصرها. بالإضافة إلى دراية المحقق الواسعة بالعلوم والمعارف، إذ أن المخطوط كثير ما يتطلب الرجوع إلى الخرائط الجغرافية وكتب التاريخ والتراجم والفقه وغيرها من العلوم والمعارف، وأيضا يتطلب عمل المحقق التعليق على كل غريب يرد في النص التراثي والتي تحتاج الرجوع إلى المصادر والمراجع ، مساعدة للقارئ والباحث لتيسير فهم المخطوط بيسر وسهولة وهذه معاناة لا يدركها إلا من عاينها.

وتقضي عملية التحقيق أن نعيد نشر النص كما أراد له مؤلفه وليس لنا الحق أن نتدخل فيه من الوجهة التاريخية والعلمية، وهذا المنهج الذي اتبعه المرحوم في عملية التحقيق إذ كثير ما تعترض المحقق مسالة الانحرافات اللغوية والإملائية أو الكتابة بالعامية، التي لا تخضع لأي ضابط نحوي أو صرفي، مما يصعب على المحقق مهمة التدقيق والفحص اللغوي، ولذالك نجده في تحقيقه لكتاب العدواني يقف متسائلا ماذا يقرر حيال هذه النصوص: " وقد كان علينا أن نقرر حيال هذه النص إما تركه على ما هو عليه حفظا للأمانة والتنبيه العام على ما فيه، والطريقة التي يجب أن يقرا بها، وإما أن نلجأ إلى إعرابه كله، فنعيد صياغته كليه أو جزئيه.... وحفظا للأمانة تركنا النص على ماهو عليه، وقمنا بالتنبيه العام في أول عملنا ليعرف القارئ أي نص يقرأ، وإذا رأينا أن المعنى، سيتوقف على تدخلنا تدخلنا واشرنا إلى ذالك بأسفل الصفحة، وهذه طريقة ليست بالسهلة"[28]

والمتتبع لأعمال سعد الله في مجال التحقيق يلاحظ أن الباحث كثير ما كان يدقق في هذه المسالة بحثا عم مصادرها، كأن يبحث عن أصل الخطأ اهو نتيجة جهل صاحب المخطوط نفسه بقواعد الإملاء آم هو من عمل النساخ فالتركيز على هذه الظاهرة ومحاولة البحث عن مصادرها في تاريخ العدواني وحكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن إبراهيم، وحتى رحلة ابن حمادوش الجزائري كشفت عن شيوع ظاهرة الأسلوب المتصفح أي الأسلوب الذي ساد في القرنين السابع والثامن عشر في الجزائر، وتحتاج هذه الظاهرة اللغوية وحدها إلى دراسة أكاديمية جادة.

بالإضافة إلى التدقيق الإملائي واللغوي، تم لفت الانتباه إلى أخطاء في كتابة بعض الكلمات مثل: (أتا) بدل (أتى)، (غدى) بدل(غدا) وحسما لهذه المسائل اللغوية والإملائية كان المحقق يلجأ كل مرة إلى رسم جدول يوضح فيه الخطأ وصوابه، وبالإضافة إلى الجانب اللغوي والتدقيق الإملائي كانت تعترض المحقق عوائق أخرى مثل:

- وجود بعض الأوراق المبعثرة .
- نسخ تحتوي أوراقاً ناقصة .
- نسخ فيها أوراق إضافية،وفي بعض الأحيان بخط مخالف .
- نسخ مبتورة البداية وغالبا الجزء النهائي وهو الجزء الهام المتعلق بتاريخ النسخ والناسخ ومكانه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولتغلب على هذه الصعاب كان المحقق يلجأ أحيانا إلى الاستعانة بالأخبار التي تورد ذكر المخطوط المعني أو مقارنة النسخ بعضها ببعض إن توفر ذالك ،أو تتبع مجمل من له دراية به أو كتب أو نقل عنه،فكان ذالك وجها أخر من أوجه التفاني التي تميز بها أبو القاسم سعد الله في عميلة التحقيق، كما هو الشأن مثلا في استعانته بكتاب تاريخ بايات قسنطينة للكاتب الفرنسي فايست الذي علم بالكتاب وعرف أهميته بالنسبة لمخطوط منشور الهدايا، فحاول الحصول عليه وبذل جهدا مضنيا ولكنه لم يستطع الاطلاع عليه كاملا إلا بضع وريقات.[29]

إلا انه ما يؤخذ عليه المحقق أحيانا هو حذفه لبعض العبارات أو الألفاظ غي المناسبة للذوق من وجهة نظره حيث فضل الاستغناء عنها وتعويضها بنقاط، ويذكر سعد الله في تاريخ العدواني ما نصه " وقد استعملنا هذه الطريقة في مناسبتين فقط الأولى عند ذكر كلمة "كلاب" والثانية عند وصف الرافضة". ويذكر الباحث انه احتار في الإبقاء على الكلمة أو حذفها فاختار حذفهما، مع العلم أن ترجمة "فيرو" لتاريخ العدواني أبقت على كلمة كلاب كما هي. إلا انه من المتفق علميا وحفاظا على الأمانة العلمية، إن المحقق ليس من مهامه الدفاع عن جهة معينة أو الوقوف ضد جهة أخرى، بل يكتفي بالإشارة والتنبيه لها في الهامش إلى ما يساعد على قراءته وفهمه حسب السياق، مع الإبقاء على أصل النسخة حفظا للأمانة العلمية.[30]

خامسا:الدراسات المحققة (وصف عام) :

للأستاذ سعد الله سجل حافل من الأعمال التي قام بتحقيقها، حيث قدم عملا ضخما بمجهود فردي لا تقوم به عادة إلا الهيئات العلمية والمؤسسات البحثية، التي تملك الوسائل المادية والبشرية الكفيلة بتحقيق أهداف علمية بهذا الحجم. وقد أسفرت محاولاته الجادة على تحقيق ستة مخطوطات وهي كالتالي:

1- أحمد بن أبي عصيدة البجائي، رسالة الغريب إلى الحبيب، ، دار عالم المعرفة: الجزائر، 2011م.

2- أحمد بن عمار، مختارات من الشعر العربي، دار عالم المعرفة: الجزائر، 2011م.

3- محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، دار عالم المعرفة: الجزائر، 2011م

4- مصطفى بن إبراهيم باشا، حكاية العشاق في الحب والاشتياق الأمير، دار عالم المعرفة: الجزائر، 2011م

5- عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش (لسان المقال)، دار عالم المعرفة: الجزائر، 2011م.

6- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، دار عالم المعرفة: الجزائر، 2011م.

سنحاول إعطاء دراسة وصفية لبعض النماذج التي حققها الدكتور أبو القاسم سعد الله و سنقتصر في هذه الورقة العلمية على الدراسات التي تعلقت بالتراث التاريخي لتاريخ الجزائر منها:

1- تاريخ العدواني:

لمؤلفه محمد بن عمر العدواني(11هـ/17م) هو كتاب يجمع بين التاريخ والأدب والقصص، ومصدر مهم لعلماء الاجتماع والتاريخ وعلم العمران، يعتبر من المصنفات التاريخية الصرفة والتي اهتمت بشكل أو بأخر بتاريخ الجزائر ،حيث احتوى على معلومات مهمة في التاريخ المحلي لمنطقة وادي سوف وحواليها، كتب باللغة الشعبية وهي اقرب ما تكون إلى العامية منها إلى الفصحى.[31]

ولهذا الكتاب قيمة تاريخية كبيرة إذ تعرض للحروب القبلية على الطريقة القديمة، والصراع من اجل البقاء وأمور أخرى كثيرة، والعدواني شاهد على السلطة في الجزائر وتونس، ويعتبر أيضا من المصادر المهمة التي احتوت أخبار عن الجزائر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتونس وليبيا وحتى المشرق العربي. فهو كتاب يؤرخ لحياة القبائل التي استوطنت الجنوب الشرقي من الجزائر والجنوب الغربي من تونس، وأصولها العربية ومسيرتها من المشرق إلى المغرب وصراعها ضد الحكام من حفصيين وعثمانيين[32].

2- منشور الهداية في كشف من إدّعى العلم والولاية[33]:

لمؤلفه عبد الكريم الفكون، يذكر المحقق أن المؤلف ألّف الكتاب على فترات في شكل مذكرات، و انتهى منه بعد سنة (1045هـ- 1635م) أي السنة التي توفي فيها والده. الكتاب يحتوي على معلومات هامة حول الحياة الاجتماعية في الإقليم القسنطيني (قسنطينة)، بما فيها علاقات العائلات بعضها ببعض، وعلاقة العائلات بالسلطة المحلية والوطنية، والمناصب المفتوحة أمام العلماء، والوظائف المخزنية ونحوها. وابن الفكون بهذا الصدد يذكر الفتن التي شهدتها المدينة وامتحانات السلطة للعلماء وأرباب الوظائف، وإشارات هامة لصلات بين المدينة والريف،وكذا الحديث عن بعض علماء المغرب وعلماء تونس والمشرق في الجزائر.

3- لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال[34]:

لمؤلفه عبد الرزاق ابن حمادوش تعتبر الرحلة من المصادر المهمة أساسيا للتعرف على الحياة الاجتماعية والثقافية للجزائر والمغرب في القرن 12هـ/ 18م، كما أنها تضمنت أحداثا تاريخية ومعلومات متنوعة تتصل بأسماء الأماكن والأعشاب وتتعلق بعقود المعاملات والأحكام وبالأسعار والنقود والمهن، فضلا على أنها تعطي صورة صادقة عن المواسم والأعياد وتقدم وصفا دقيقا لعلاقة العلماء وما كان يدور في المجالس من مسائل فقهية وأمور علمية.

و الرحلة أيضا مصدر مهم لحياة المؤلف نفسه، بعد أن ضاعت مؤلفاته الأخرى فهي مرآة حياته ونشاطه وتفكيره، وقد احتوت الرحلة أيضا موضوعات كثيرة وغير مترابطة ، كون ابن حمادوش من الرحالة الكبار الذين اهتموا بوصف كل ما يأتي في طريقهم، وهو معطى يحتم على المحقق إن يكون على دراية بعلم التاريخ والفقه والتوحيد والتصوف والرياضيات ..... ونحوها. وقد كان هذا الأمر من أكثر الصعوبات التي اعترضت الراحل أبو القاسم سعد الله، وقد عبر عنها صراحة في الكتاب خصوصا بعد افتقاده لنسخة ثانية من المخطوط[35].

و كما اشرنا سابقا لم يقتصر عمل أبو القاسم سعد الله على تحقيق النصوص التراثية التي تصل بتاريخ الجزائر والمغرب العربي فقط، بل نجده محققا وناشرا لنصوص غاية في الأهمية في الأدب-اشرنا لها من قبل- لا يسع المجال لذكرها كلها.

الخاتمة

التحقيق أمر جليل، ويحتاج من الجهد والعناية إلى أكثر مما يحتاج إليه التأليف، وقديما قال الجاحظ: "ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام" .

والحق أن الجهد المضاعف الذي بذله المؤرخ أبو القاسم سعد الله في إخراج هذه النصوص من أصعب المهمات العلمية التي أرهقته ماديا وأخذت الشئ الكثير من حياته، يصول ويجول في مراكز الأرشيف ودور العبادات والزوايا والخزائن داخل وخارج الوطن، لا لشئ سوى من اجل التعريف بتراث وطن أحبه وافنى حياته من اجله، وقد استفاد التحقيق الوطني تطبيقاً وتنظيراً من تجربة أستاذنا العلامة أبو القاسم سعد الله، كما ساهم في تكوين جيل جامعي غيور على التراث، يعمل إلى الآن في هذا المجال مقتفياً آثار الأستاذ ، وناهلاً من عطائه الفكري الذي يحث على مزيد من البحث والتنقيب، ويعطي درساً في ضرورة المثابرة والكد لاكتناز حقيقة العلم وتركات الأسلاف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكما انه قد تم تحقيق المئات من المخطوطات، مازال هناك العديد من المخطوطات فهي دعوة لتزويد المخابر العلمية بالمخطوطات لتمكينها من توجيه الباحثين للاشتغال بهذا الحقل و بتظافر جميع الهيئات.

الهوامش والاحالات العلمية:

[1] -الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، دار ابن حزم، بيروت: 2006 ، ص 5.

[2] شوقي بنين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الرباط: الخزانة الحسنية، ص 74.

[3]عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ص 42.

[4]سورة النمل، الآية 16.

[5] - سورة الأحزاب، الآية 27.

[6] – سورة مريم، الآية 5 و6.

[7] – رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، القاهرة مكتبة الخانجي، 1985، ص 8.

[8] – ابن منظور، لسان العرب، ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي، بيروت: دار صبح، 2006.

[9]– غازي عناية، إعداد البحث العلمي، باتنة: دار الشهاب، 1985، ص 103-105.

[10]– أعيد طبع أعمال الراحل أبو القاسم سعد الله بدعم من وزارة الثقافة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة 2011.

[11] للمزيد عن حياة الراحل أبو القاسم سعد الله انظر سيرته المفصلة في كتاب مراد وزناجي، حديث صريح مع الدكتور أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، ط1،الجزائر: منشورات الحبر،2008.

[12] سعد الله أبو القاسم، قضايا شائكة، الجزائر: دار عالم المعرفة، 2014، ص 139.

[13]– ناصر الدين سعيدوني، أبو القاسم سعد الله كلمة وفاء،الجزائر: البصائر الجديدة، 2014، ص 66.

[14]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص 416

[15] -نجيب بن خيرة، أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة، الجزائر: دار عالم المعرفة، 2014،ص 93.

[16] – أبو القاسم سعد الله، حوارات، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص 186.

[17]– المرجع نفسه، ص 32.

[18] – أبو القاسم سعد الله، قضايا شائكة، الجزائر: عالم المعرفة، ص 12.

[19]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات وشهادات مهداة إلى الدكتور أبو القاسم سعد الله،ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ص 546.

[20] – أبو القاسم سعد الله، حورات،المرجع السابق، ص32.

[21] – محمد الأمين بلغيث، أبو القاسم سعد الله بأقلام أحبائه،الجزائر:البصائر، 2014، ص 153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[22]– رابح طبجون، الدكتور أبو القاسم سعد الله وتجربته النقدية، المجلة العالمية لترجمة الحديثة،العدد 5، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر،2010، ص 50.

[23]– أبو القاسم سعد الله، قضايا شائكة، المرجع السابق، ص 92.

[24]- نفسه، ص 93.

[25]- عبد القادر شرشار، أبو القاسم سعد الله محقا وناقدا، مجلة النور اللندنية، العدد 154.

[26]– محمد مسعود محمد أبو سالم، أصل تحقيق المخطوطات والسجلات والدفاتر وحفظها عند الأقدمين،مجلة رفوف، العدد 5، 3013، ص 11.

[27]– عبد الرزاق ابن حمدوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش، تحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر: عالم المعرفة،2011،ص 19.

[28]– محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق: أبو القاسم سعد الله،الجزائر:دار عالم المعرفة،2014، ص 27.

[29]– فايست (روكاي)، سنة 1868،ص 263، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، تحقيق منشور الهداية،المصدر السابق، ص 19.

[29]– العدواني، المصدر السابق، ص 33.

[30] – عبد القادر شرشار، المرجع السابق.

[31]- محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر : دار عالم المعرفة ، 2011م.

[32]– عبد الحق شرف، المرجع السابق، ص 303.

[33] – عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله ، دار عالم المعرفة، 2014.

[34] – عبد الرزاق بن حمادوش ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق الجزائر: دار عالم المعرفة، 2014.

[35]– يذكر المحقق في الصفحة الثانية بعد الواجهة "سيلاحظ القارئ أننا اعتمدنا في التحقيق على النسخة المخطوطة الوحيدة لرحلة ابن حمادوش وهي الجزء الثاني، أما بقية أجزاء الرحلة فهي مفقودة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com